رحلة دوق ابروزي

كثيرًا ما تجشّم اهل السياحة المشاق واقتحموا الاخطار وعرّضوا انفسهم للموت الزؤام لاجل الوصول الى القطب الشمالي . ولهم من ذلك غرضان الواحد علمي والآخر تجاري . اما الغرض العلمي فمداره الوقوف على احوال تلك الامقاع الجرداء التي كستها الثلوج فلم تبقِ فيها من انواع الحيوان غير ذوات الفرو الكثيف او الدهن الكثير حتى تجد من كسائها الطبيعي واقيًا يقيها صبارّة القر . واما الغرض التجاري فاكتشاف طريق يصل بين شمالي اوربا واقاصي المشرق حتى ترسل البضائع فيه بدلاً من ارسالها في طريق السويس او حول افريقية . والى الآن لم يبلغوا هذا الغرض ولن يبلغوه لانهم لم يجدوا بحرًا خاليًا من الجليد حول القطب كما ظنوا لكنهم بلغوا كل ما راموهُ علميًا اي انهم عرفوا اكثر الظواهر الجوية والحوادث الطبيعية التي تحدث في الاقطار القطبية

واشهر الرحلات الحديثة التي قُصد بها البلوغ الى القطب الشمالي رحلة بارِ الذي تمكن هو ورجالهُ سنة ١٨٧٤ من الوصول الى الدرجة ٨٢ من العرض الشمالي اي بقي بينهم وبين القطب ثماني درجات او نحو ٤٥٠ ميلاً . وسنة ١٨٧٦ وصل ماركهام الى الدرجة ٨٣ والدقيقة ٢٥ . وسنة ١٨٩٥ وصل نانسن الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ . وقد وصل رجال دوق ابروزي هذا العام الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ فلم يبقَ بينهم وبين القطب الشمالي سوى ثلاث درجات و ٢٧ دقيقة اي نحو مئتي ميل . وهاك تفصيل هذه الرحلة ملخصًا مما كتبهُ الدكتور اولندو ملاغودي في مجلة الستراند الانكليزية

كان للسفينة مثلاً بولاري (اي نجمة القطب وهي التي سار فيها دوق ابروزي) وداع حافل يوم ابحرت من مرفإ كرستيانا عاصمة بلاد نروج في الثاني عشر من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ قاصدةً اقاصي الشمال . ابحرت واعلام المدينة تخفق لها ومدافعها تدوي لوداعها والجماهير الكثيرة تدعو لها بالسفر الميمون والعود القريب . وكان بين الموزعين الدكتور نانسن الرحالة الشهير فوقف يزفّ الى الراحلين نصائح الخبير المجرّب ويقوي عزائمهم ويشجعهم على اقتحام الاهوال وكان يكلمهم كمن هو واثق بنجاح رحلتهم وعودهم سالمين غانمين

اما الخطة التي كان دوق ابروزي ينوي اتباعها فلم يكن احد يعرفها غير رجالهِ وقد اسرّوها لكي لا تصل الى اصحاب الصحف السيّارة فيكثر اللغط فيها والابهام بها . وكان معهُ عشرة من الايطاليين وعشرة من النروجيين الآن اعتمادهُ كان على الايطاليين ولم يأخذ النروجيين معهُ

الاّ لاعتيادهم السفر في البحار الشمالية . وهو ابن دوق اوستا الذي تولّى عرش اسبانيا من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ وابن عم ملك ايطاليا الحالي . طويل القامة نحيف الجسم قليل الكلام لهُ ولع شديد بالتقحّم الخاطر اذا كان من اقتحامها نفع ما ولاسيما اذا كان النفع علمياً . يلقبهُ اخوهُ بالعضو العلمي في آل سافوى . درس في مدرسة ليفورنو الحربية ولما اتمّ دروسهُ طاف في البلدان يدرس اخلاق اهلها وعاداتهم واكثر من الصعود الى قمم الجبال العالية الى ان صعد الى قمة جبل مار الياس في اقاصي اميركا الشمالية بعد ان تعذّر على غيرهِ البلوغ اليها كما ذكر في الصفحة ٧٩٤ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف

والسفينة من سفن الصيد استعملها نانسن في رحلتهِ الاولى الى غرينلندا وقد مضى عليها سبع عشرة سنة تخر في البحار لصيد الحيتان الشمالية فابتاعها دوق ابروزي ووكل اصلاحها الى رجل ماهر ببناء السفن فاصلحها وقوّاها على احتمال ضغط الجليد وسميت نجمة القطب . طولها ١٥٠ قدماً وعرضها ٣١ قدماً وعمقها ١٦ قدماً وحمولتها ٤٩٥ طناً وفيها سوار عالية وشراع واسع وآلة بخارية صغيرة تسير بها خمسة اميال في الساعة ولكنها لا تستعمل الاّ عند الحاجة الشديدة اذ لا سعة فيها للفحم الكثير . وبني على ظهرها بيت كبير يسع ١٢٠ كلباً من الكلاب التي تجر المزالق على الجليد وغرف واسعة للضباط . وقد جمع فيها دوق ابروزي كل ما يحتاج اليهِ من الزاد والادوات اخذ الاطعمة والخمور من ايطاليا والآلات من المانيا والثياب المشحمة من انكلترا والفراء من روسيا ورأى كل شيء بنفسهِ حتى اذا رآهُ نانسن يفعل ذلك قال هذا شأن من يفلح في امرهِ ولا يكل اعمالهُ الى غيرهِ . وكان الزاد كثيراً يكفي من في السفينة اكثر من ثلاثة اعوام وهو وسائر المواد في الف وخمس مئة صندوق والصناديق صغيرة حتى يسهل الرجل حمل الواحد منها . وفي اربعة انواع حسب المواد التي فيها تمتاز بما عليها من الخطوط فصناديق الزاد خطوطها سوداء وفي كل صندوق منها شيء من كل انواع الزاد كالخبز واللحم والخضر والاشربة حتى اذا ضاع بعضها لا يكون فيهِ ما ليس في غيرهِ . وقس على ذلك صناديق الثياب وصناديق الادوات وصناديق الالعاب . والغرض من الالعاب كالشطرنج والنرد ونحوهما تسلية التجارة في الشتاء حتى لا يملوا ولا يسأموا

وكان غرض نانسن في رحلتهِ الاخيرة ان يصل الى القطب الشمالي بسفينتهِ معتمداً على مجرى الجليد الذي اكتشفهُ وحسب انهُ يجري بسفينتهِ من سيبيريا الى غرينلندا فتمر على القطب الشمالي . يجرى الجليد بها كما قدّر لكنهُ لم يمرّ بها على القطب الشمالي بل بقيت بعيدة عنهُ فاضطرّ ان يركب مزالق ويسير الى القطب على الجليد فبلغ الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض

الشمالي كما تقدَّم. اما دوق ابروزي فلم يعتمد على مجرى الجليد بل عزم ان يصل الى القطب في المزالق واخذ السفينة معهُ ليصل بها الى ابعد ارض يسهل عليهِ الوصول اليها فيتركها هناك ويرسل منها بعثات الواحدة بعد الاخرى وبعث معها زاداً تضعهُ في الطريق فكل بعثة تمهِّد السبيل التي بعدها وتضع لها الزاد في طريقها الى ان تصل البعثة الاخيرة الى القطب. وتدرس كل بعثة احوال البلاد التي تصل اليها حتى يكون اختبارها مرشداً للبعثة التي تليها

وقامت نجمة القطب في الثاني عشر من شهر يونيو كما تقدم وبلغت مدينة اركنجل على سواحل روسيا في غرة يوليو ومن هناك اخذت الثلة والعشرين كلباً المعدَّة لهذه الرحلة وكان القران دوق فلادمير الروسي قد جاء الى اركنجل ليودع دوق ابروزي فودعهُ واقلعت السفينة من هناك في ١١ يوليو فبلغت راس فلورا في جزيرة فرنز جوزف بعد عشرة ايام ووجدت هناك كوخاً بنتهُ بعثة جكسن الرحالة وكتبت عليهِ ان كل المكاتيب التي توضع فيهِ تعود بها سفينة الصيد كابلاً الى اوربا حينما تمر من هناك في اواسط اغسطس . فوضع الدوق في ذلك الكوخ زاداً يكفي رجالهُ ثمانية اشهر حتى اذا اضطروا ان يعودوا من ذلك الطريق وجدوا فيهِ طعاماً لهم ثم سار بسفينتهِ قاصداً دخول الخليج القطبي الانكليزي وبعد عناء شديد خرقت السفينة الجليد وسمكهُ خمسة وسبعون سنتيمتراً ووصلت الى بحر لاجليد فيهِ . والتقت هناك بسفينة الصيد كابلاً وفيها ولن الرحالة الاميركي وقد كسرت ساقهُ وفقد البعض من رفاقهِ. وبعث من في نجمة القطب مكاتيبهم مع الكابلاً وفي جملتها كتاب من دليل استهُ بتيغاس يقول فيهِ تمرُّ بنا الايام والاسابيع سراعاً والبرد معتدل فقلما يهبط الترمومتر تحت الصفر واسس اشرقت الشمس بهاثها فعكس الجليد من اشعتها ما يبهر الابصار . وقد قويت سفينتنا على مقاومة هجمات الجليد وهي تخرقهُ وتشقهُ ولو كان تخنهُ اربع اقدام واذا كان تخنهُ اكثر من ذلك وعجزت عن شقهِ اطلقنا لها البخار فتثب فوقهُ وتكسرهُ كسراً مسافة اربعين متراً او خمسين ولا يفارق الدوق مرقب السفينة وقد لا ينزل لتناول الطعام ولا يدع فرصةً للتقدُّم الاَّ غنمها ونحن نسرُّ بذلك لانهُ على قدر تقدُّمنا هذا العام يقل تعبنا في العام المقبل "

وظلت نجمة القطب سائرة الى ان بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٥ من العرض ولم تبلغ سفينة اخرى هذا المدى في البحر وقد جازتهُ سفينة فانسن لكنها سارت محمولة بالجليد. ثم عادت نجمة القطب من هناك لانها لم تجد مرفأً تقيم فيهِ الى ان وصلت الى حيث الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٧ وهناك توالت عليها الكوارث فاجتمع الجليد حولها وتكاثف وضغط عليها ضغطاً شديداً حتى كاد يسحقها ثم وقعت عليها قطعة كبيرة منهُ فكسرت جانبها وللحال جعل الماء

يدخل من الكسر حتى حسب من فيها غرقة لا محالة ثم تحرّك الجليد فدارها وساقها الى الجانب الآخر فلما من الغرق ولكنهم لم يعدّ تسكن واضطرّ الدوق ورجاله ان يغادروها ويقتدوا

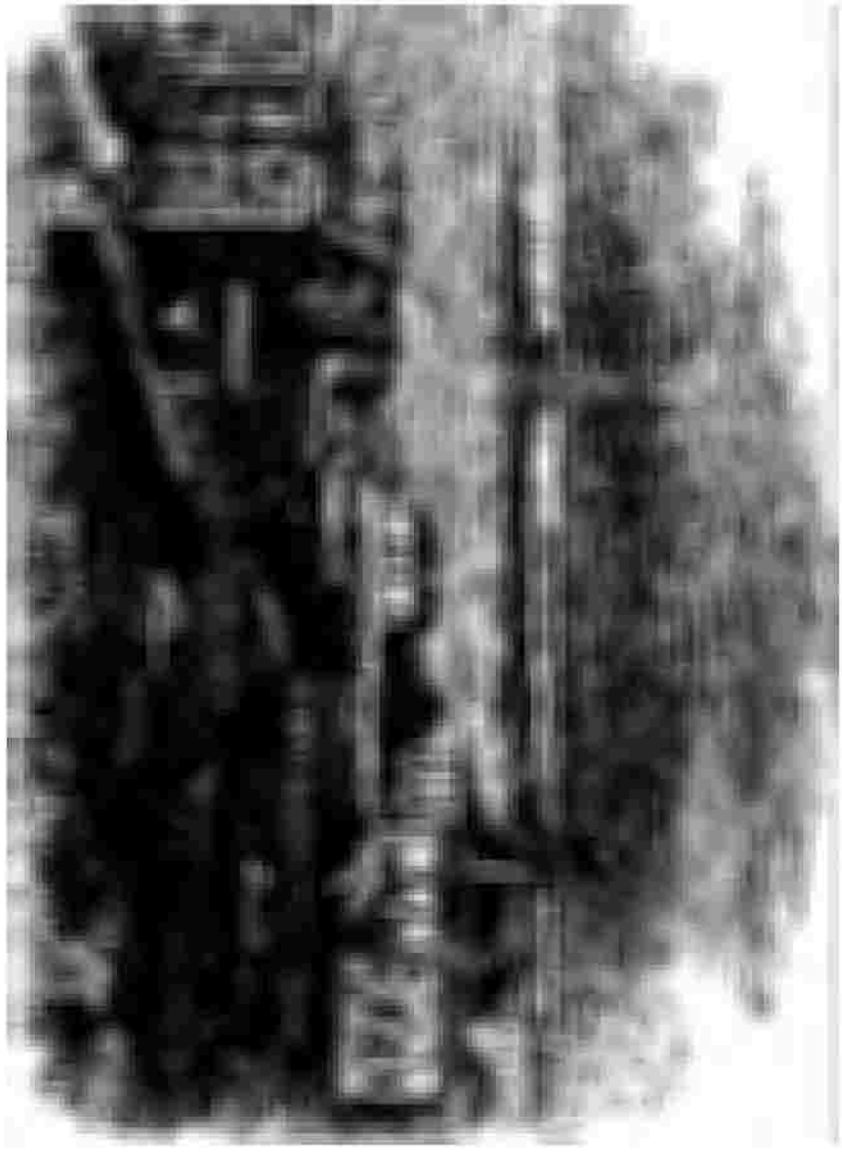

كل ما اعتادوا فيها من وسائل الراحة والدفء ويحيطون بالجليد في ذلك الممرّ. وكان معهم حيتان فنصبوها وغطوها بشراع السفينة ووضعوا فيها موقدًا يلجأون اليه ويستدفئون

منهُ وكان مع كلٍّ منهم دثار من جلد الذئب الطويل الصوف فلم يقرهم البرد مع انهُ كان قارساً جداً ولاسيما في الليلة الاولى فجلد بهِ كل شيء حتى الجزم . وبنوا للكلاب زريبة من الخشب تقيها عصف الرياح . ومضى فصل الشتاء والضباط يبحثون عن تجاري الاوقيانوس والقطب المغنطيسي والنور القطبي وتكوُّن الجليد واستدادهِ وحرارة الهواء والبحر وسمك طبقة الارض وطبائع الحيوانات القطبية ونحو ذلك من المباحث العلمية . وداموا متمتعين بالصحة التامة الى يوم عيد الميلاد وحينئذٍ مضى الدوق وثانيهِ ليتحنا المزالق فقرَّهما البرد وعرأ ايديهما فابيضت اولاً ثم اسودَّت حتى ظنَّ الطبيب ان لا بدَّ من قطع احدى يدي الدوق ثم رأى انهُ يمكن الاكتفاء بقطع اصبعين من اصابعهِ فقطعها ومن ثمَّ اخرفت يدهُ ولم تعد الى حالها الاولى واضطرَّ ان يلازم خيمتهُ اربعة اشهر متوالية لكنهُ اعدَّ بعثات المزالق في غضونها وحاول اولاً ارسالها في آخر فبراير فلم تستطع الذهاب لان البرد كان شديداً جداً ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد فماتت الكلاب من شدتهِ واضطرَّ الرجال ان يعودوا في اليوم الثاني

ثم ارسل بعثة أخرى في ١١ مارس وفيها ثلاثة عشر رجلاً وثلاث عشرة مزلقة و١٠٨ كلاب فوجدت من المشاق في طريقها ما لا يوصف وكانت تضطر احياناً كثيرة ان تقطع جبال الثلج بالفؤوس لكي تسير بينها . ورأى رئيسها ان الزاد الذي اخذتهُ معها قد لا يكفيها لكثرة ما كان يأكلهُ رجالها فاعاد ثلاثة منهم في ٢١ مارس ومعهم زاد يكفيهم عشرة ايام فانقطع خبرهم من ذلك الحين ولم يُسمع عنهم شيء حتى الآن . وفي الحادي والثلاثين من مارس ارجع ستة آخرين ومعهم زاد يكفيهم خمسة وعشرين يوماً فوصلوا الى المخيم سالمين . وبقي هو وثلاثة من الايطاليين سائرين في طريقهم والجليد كثير العراقيب مترا كم القطع الى ان بلغوا الدرجة ٨٥ من العرض ومن ثمَّ صارت حقول الجليد منبسطة فسارت مزالقهم عليها سيراً حثيثاً وقل زادهم كثيراً فاقتصروا على اكل لحم الكلاب لكن عزائمهم لم تضعف لانهم كانوا عازمين ان يبلغوا الدرجة ٨٧ حتى يقال انهم فاقوا كل من تقدم من قصَّاد القطب الشمالي

وفي الرابع والعشرين من ابريل وصلوا الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ٣٣ من العرض والدرجة ٦٥ من الطول ورأوا هنالك انهُ لم يبقَ لهم سبيل للتقدُّم لانهُ لم يبقَ معهم زاد فاضطروا ان يعودوا ادراجهم فاقتضى ذهابهم خمسة واربعين يوماً وايابهم تسعة وخمسين يوماً ولم يجدوا ارضاً في طريقهم وكان الجليد يغطي البحر كلهُ في ذهابهم واما في ايابهم فوجدوهُ قد تقطع وصار جزائر طافية في البحر فصاروا يضطرون ان يثبوا من جزيرة الى اخرى او يقفوا على الجزيرة ويدفعوها حتى تسير بهم كالتارب الى ان تصل الى غيرها . وتخطوا رفاتهم في رجوعهم واوغلوا

جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضاعوا مزالقهم كلها ولم يبقَ معهم من الكلاب الاَّ سبعة

وبذل التجارون جهدهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر . وفي الثامن من اغسطس انفكَّ عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجالهُ وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم ستين اذا عثروا عليهِ . وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوهُ في يوم واحد لكنهم وجدوهُ مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحر لا يغيطهِ الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى راس فلورا فوجدوا فيهِ رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلاً في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطلَّع الدوق عليهِ كان عمهُ قد قضى نحبهُ . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياها الرحالة نانسن وقال مخاطباً دوق ابرزوي . " لقد احييتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغلتم في الشمال يا ابناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال " . هذا ما يفعلهُ ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها

نجيب صروف

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في الجزء الماضي بوصف قصر الحراج وقد فاتنا وصف كثير من المواد المعروضة فيهِ كالقطر وخشب الكبنا وصمغ الكاوتشوك والبخور والاعشاب والاوراق والقشور والجذور والاثمار البرية التي تؤكل او تستخرج منها الاصباغ او تعصر الزيوت او يصنع الورق . فانواع القطر تعدُّ بالمئات واصنافهُ بالالوف والكاوتشوك قطعهُ في حجم البراميل الكبيرة والاعشاب والاوراق ونحوها شاملة كل ما يستعمل في الصناعة والطب وكل ما يؤكل وينتفع بهِ . وانواع الخشب وانوانهُ تفوق الوصف من الاسود الى الابيض والاحمر والاصفر بكل درجاتهما وكثير منها من قلب افريقية من الكنغو الفرنسوي وغيره

وقد عُرض في هذا القصر كثير من اسلحة مشاهير الرجال كاسلحة قيصر الروس والسيف الذي اهداهُ الامبراطور بونابرت الى القيصر اسكندر الاول سنة ١٨١٧ وفي صفيحة مقبضهِ